شبح الحرب

للأستاذ محمود غنيم

هو الموت أن قامت على ساقها الحرب
وإلا فحسب الناس ما يفعل الرعب
يلوح لهم في النوم والسحر طيفها
ودون انتظار الخطب أن يقع الخطب
فزعنا فلا جفن من الخوف مطبق ولا مستقر في مضاجعه جنب
ولا أنف إلا عالق بكمامة ولا دار إلا شق في جوفها جب
وما اكتوت الأيدي ولا احترق الحشا
بجمر كجمر لا يشب ولا يخبو
فيأيها الليث المكشر للورى حنانيك إما الانصراف أو الوثب

* * *

مطامع غر الغرب ومض سرابها
فأصبح يصلى ناره الشرق والغرب
كأني بها قامت وشب أوارها
وقد جفت الأقلام وانطوت الكتب
سفين يلج البحر يرميه مثله وسرب بأعلى الجو يقذفه سرب
وبينهما تمشي المنايا كأنها طيور وأرواح الإنام لها حب
وفي لا الفروع السابغات موانع
أذاها ولا تجدي بها الصارم العضب
تثلم حد السيف وانقصف القنا وأصبح لا طعن هناك ولا ضرب
كأني بها ترمي مدافعها فلا يطيش لها سهم ولا مضرب ينبو
تدمر ما تأتي عليه لو انها تصوب نحو الألب دكت بها الألب
هي البرق خطافاً هي الرعد قاصفاً
هي الشهب إذ تهوي من الفلك الشهب
فمن كان يصطاد الحمام بنبله فإن لنا نبلاً يصاد به العقب
كأني بها والطائرات بنازها تجود كما جادت بوابلها السحب
يمد إلى الأرواح كفيه خلسة
فلا الرأس مقطوع ولا الدم منصب
رقيق الحواشي لا تكاد تحسه وأليف منه الصخر والمعدن الصلب
له قطرات لا يبل بها صدى ولا يابس تبقى عليه ولا رطب
إذا انتشرت في الأفق لم ترع حرمة
لأنثى ولا شيخ علا رأسه الشيب
إذا انتشرت في الأفق تصرع كاعبا
وتخنق أماً خلفها طفلها يحبو
لقد شيب بالسم الهواء فهل ترى يشاب من الأنهار سائلها العذب

* * *

أرى الغرب يدنو كالفراش من اللظى
أللقوم في إحراق أنفسهم إرب ؟
ويا رب حرب منذ عشرين حجة بكل فؤاد من جراحتها ندب
أضرت بحزبيها وإن تم نصرها لحزب وقاسى ذل خذلانها حزب
إذا ما ذكرناها اقشعرت جلودنا إذ الناس كالأنعام قوتهم العشب
وإذهم بأكناف الخنادق ما لهم مضاجع غير الترب لو نفع الترب
يقاسون حراً ما لهب يحمله يدان وبرداً ليس يحمله دب
وحشو أنوف القوم غاز مسمم وللنار في أجسامهم مرتع خصب
فيا لحروب لا تجف دماؤها ويا لشعوب كلما نهضت تكبو
أجدكم يا قوم طال بنا السرى ولم يستريح حيناً من السفر الركب
لقد سار نحو المجد قوم فأدلجوا ولم يعلموا أين انتهى بهم الدرب
ولو أنفقوا في الخير ما ينفقونه
على الحرب عم الخصب وانقطع الجدب
ولم يبق طاو ليس يملك قوته ولم يبق عار ليس يستره ثوب

* * *

شعوب بعصر النور يفتك بعضها ببعض كما يعدو على الحمل الذئب
يمثل بالإنسان في الغرب بينما يعيش قرير العين في ظله الكلب
إذا قنص الليث الغزالة ساغباً فما ذنب شعب بات يقنصه شعب
ذنوب الضعاف العاجزين كثيرة وما لقوي إذ تحاسبه ذنب
كأن ليس بين العالمين شرائع ولا خلفهم حشر ولا فوقهم رب
ولا في قوانين البرية رحمة ولا شيء في الدنيا يقال له الحب
ولم يبق معبوداً سوى القوت وحده
فكل فؤاد مستهام به صب
عزاء لنا أن الحضارة أفلست فرونقها زيف ومنطقها كذب
إذا ما تمثلت الحضارة خلتها لباة لها جوف وليس لها قلب
سل العلماء الفاخرين بعلمهم أجادوا بتدمير العلم أم ناره شبوا
تقدم فن للموت أي تقدم وسار بطيئاً طائر القدم الطب